يكد يُحفَظ منها ما يزيد على الحوائج البيتية والسوقية على تناقص هذه الحوائج وتراجع عددها يوماً بعد يوم بما طرأ على اهلها من الضغط والفاقة وما اتصل بذلك من استيلاء الجهل وتقلص العمران وذهاب الحضارة من بينهم حتى عادت حوائج كثير من اهل المدن الحافلة لا تكاد تتعدى حوائج البدوي والأكار وما دامت المعاني التي يعبَّر عنها باللغة معدومة فلا سبيل الى بقاء الألفاظ الدالة عليها اذ اللفظ انما يُتخذ للعبارة عن الخواطر التي في النفس فلا يكون الا على قدرها بالضرورة . وزاد على ذلك كله ذهاب ما كتب المتقدمون بعضه بالاحراق كما تمّ في مكتبة قُرطُبة وكأنّ هذا في مقابلة ما وقع من مثله بالاسكندرية وفارس ... وبعضه بالاجتياح والنهب فلا بقي في مكانه فينتفع به المتأخر ولا احتفظ به الذي نهبهُ لجهله قيمتهُ وبقي الشيء اليسير نجدهُ اليوم في مكاتب الاعاجم واكثرهُ مما اشتُري من ايدينا بالذهب ... فلا غرو ان نشأ عن تلك الاحوال كلها ذهاب هذه اللغة من ألسنة الاعقاب حتى لو رام احدنا اثارة دفائنها وتمهُّدها بالتجديد والاحياء لما وجد منها في البلاد الا الشيء النزر لا يعدو في الغالب علوم الدين وما يتصل بها مما لم يكد اهل بلادنا يحافظون على سواهُ ستأتي البقية

السوريون

سوريا التي لعبت بها يد الغير وفجعتها طوارق الحدثان بعد العين بالاثر هي القطر الذي كستهُ الطبيعة حلة الجمال فمزّقتها يد الانسان وخصّتهُ بمزايا تفرّد بها عن المثال فعادت عليهِ بالخسران وتباب السكان جوٌّ صافي الاديم لا يكفهرُّ الا ليجود السحاب بالقطر ويترقرق ماء العيون على حصباء كالدرّ

فتبسم الرياض فيهِ عن ثغور الزهر وهوآءهُ لا يهبّ الاّ عبقت اردانهُ بشذا العطر فيبعث الحياة هبوبهُ ويمازج الارواح طيبهُ وسهولٌ فسيحة الاطراف خصيبة الاكناف تتدفق في جوانبها الجداول والانهار وتنمي في مناكبها الحدائق الملتفة الاشجار الطيبة الثمار وجبالٌ احتبكت شعابها وتناوحت هضابها ونشزت صخورها واكامها وكُلّلت بالثلج هامها واخضرّت سفوحها واخضلّت آجامها فكانت معقلاً للشريد ومعتصماً للطريد

هذه هي سوريا التي سبقت الى المدنية والحضارة واكتظت بالسكان والعمارة وانما بلغت هذا الشأن العظيم بالزراعة والصناعة والتجارة وهي تمتد من البحر المتوسط غرباً الى الفرات والبادية شرقاً ومن آسيا الصغرى شمالاً الى حدود مصر جنوباً فتشتمل على القطر المعروف من قديم الزمان بارض الموعد والارض المقدسة . وقاعدتها دمشق العريقة في الحضارة المتقادمة العهد في المدنية جنة الارض المنقطعة النظير في جمال غوطتها وحسن موقعها وصفاء مائها واعتدال هوآئها وطيب ثمارها وكثرة حدائقها ومع انها انحطت عن حالة مدنيتها القديمة فقد لبثت غير متغيرةٍ الا قليلاً في خططها وترتيب مساكنها وعوائد اهلها واخلاقهم ومعايشهم وملابسهم لانهم لا يميلون الى الاحداث . وما عداها من مدن سوريا القديمة قد عفاها تقلّب الاحوال فلم يبقَ منها الا رسوم واطلال وقامت على انقاضها الآن قُرًى حقيرة منتشرة في هاتيك الربوع الداثرة يأوي اليها شراذم من بقايا الامم الغابرة كأنها لم تبقَ الا لتشهد بما تجنيهِ الحروب من الدمار وما يُحدِثهُ تفريق الكلمة والشقاق من التباب والبوار او تستوفي ما أُرصد لها من الذلة وانحطاط المقدار بل لتكون عبرةً لذوي الابصار

ألا وهي البلاد التي ليس لها مثيل في العالم كلهِ في تباين سكانها واختلاف نحلهم وعقائدهم على قلة عددهم فهم لا يزيدون الآن عن ٢٫٤٠٠٫٠٠٠ نفس متشتتين في بقاع تبلغ مساحتها نحو ٣٧٥ ميلاً طولاً من الجنوب الى الشمال في نحو ١٧٥ ميلاً عرضاً من الشرق الى الغرب. وهم اخلاطٌ من الاراميين وكثير من الاجيال التي اجتاحتهم من قديم الزمان حتى الآن وكانوا يؤلفون مملكة عظيمة قاعدتها دمشق التي ذكرت في التوراة باسم ارام وكانت في زمن ابرهيم الخليل عريقةً في الحضارة على حين لم يكن غيرها شيئاً مذكوراً. ومما ذكر فيها ان الاسرائيليين قتلوا من عسكر ملكها بنهدد الثاني ١٠٠٫٠٠٠ رجل في يوم واحد وذلك دليل على كثرة سكانها حينئذٍ على انهم لا يزيدون الآن على ١٥٠٠٠٠٠. ولا يخفى ان اليهود امتزجوا بالاراميين في حروبهم معهم منذ عهد داود الملك ثم سقطت المملكتان الارامية واليهودية بتغلب الاشوريين والبابليين والفرس شمالا والمصريين جنوباً فاستبدّ الاشوريون والفرس بالاراميين وأجلوهم عن بلادهم وشتتوهم في الامصار والمدائن واسترقوهم واغتصبوا املاكهم فتقدمت سوريا استقلالها منذ ذلك العهد ثم غلب الاسكندرُ الفرس وثل عرشهم وتملك اليونان سوريا حيناً من الدهر فتخلق اهلها باخلاقهم وكثرت عمارتها في ايام تملك السلوقيين فصارت مملكة عظيمة كانت قاعدتها انطاكية ثم قامت عليها ملوك الطوائف من جهة الشمال والبطالسة ملوك مصر من جهة الجنوب واستقلت اليهودية في ايام المكابيين وانقسمت دولة السلوقيين على نفسها فتهيأ للرومان الاستيلاء على هذه المملكة سنة ٦٤ ق م وقد عظم شأنها حينئذٍ حتى نازعت رومة سلطتها فتبوأ ملوكها كرسيَّ القياصرة من سنة ١٩٣ الى سنة ٢٤٩ ب م ونشروا عوائد السوريين ومبادئ دينهم في اوربا وكانت سوريا اول

قطرٍ انتشرت فيهِ النصرانية بعد ظهورها في اليهودية فازهر فيهِ نبراسها حتى عصفت ريح الشقاق والمماحكات الدينية بين ابنائها في دولة الروم وتقوّى الفرس عليهم وكان عرب الحيرة يشنُّون الغارة على اطراف المملكة السورية فنموا في غزوهم لضواحي انطاكية غنائم بعثت فيهم النخوة العربية على اعادة الكرة والسوريون لاهون بالمماحكات على العقائد كارهون ظلم حكامهم والروم متشاغلون بملذاتهم واستبدادهم حتى قويت شوكة العرب ثم ظهر الدين الاسلامي فجمع كلمتهم وكانوا أشتاتاً فاندفعوا على سوريا كالسيل الجارف فملكوها وطردوا الروم منها الا الذين أسلموا او الذين استأمنوا ودفعوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون واعتصم بعضهم بالجبال فحافظوا على استقلالهم في الاحكام والعقائد . وكانت دمشق كرسيّ الخلافة في الدولة الاموية حتى نقلها العباسيون الى بغداد . وبعد انقراض الدولة العباسية ملك الطولونيون سوريا ثم خلفهم الفاطميون ثم السلجوقيون واستولى على بعض انحائها الصليبيون ثم اجلاهم عنها الايوبيون واجتاحها تيمورلنك سنة ١٤٠١ ثم افتتحها السلطان سليم الاول سنة ١٥١٧ وكانت تابعة لمصر منذ الدولة الطولونية. وما زالت الحروب تنتاب ديارها والفتن الاهلية تثور فيها فتعجل دمارها حتى صارت رسوماً داثرة وبقاعاً باثرة خاوية على عروشها خالية من سكانها وانيسها

وليس القصد مما سبق ايرادهُ بيان تاريخ سوريا فانهُ مما يطول الكلام فيهِ ولا تفي ببيانهِ المجلدات الضخمة وانما قصدنا التوطئة لأوجُه تباين سكانها في الاخلاق واختلافهم في السجنات والعوائد والمنازع والعقائد بما طرأ عليهم من الاختلاط ليمكن رد كل فرع منهم الى اصلهِ على ما هو مقتضى البحث في الطبائع اذ تُنتزَع من التاريخ والجغرافية والسياسة وعلم اللغات والتشريح ومنافع الاعضآء القواعد

التي يُرجَع اليها في انساب الشعوب. وما تتميز بهِ الامم من الخصائص الحسية والمعنوية . وقد علمت ان السوريين اخلاط من اجيال مختلفة وامم كثيرة تغلبت على سوريا منذ الازمنة القديمة ولذلك لم يبقَ من السوريين الخلَّص الا بقيةٌ يمثلها السريان في دمشق وقراها واليعاقبة في الموصل وديار بكر والنساطرة في الموصل والعجم وبعض جهات الهند والموارنة في جبل لبنان وهم الذين اعتصموا بالجبال وامتنعوا على الفاتحين او الذين استأمنوا وسكنوا المدن مغلوبين على امرهم اذلاَّء في اوطانهم وباقي السوريين اخلاطٌ من الروم والفرس والعرب والكرد والفرنجة والترك وغيرهم من الامم التي احتلت سوريا فتركت كلُّ امةٍ منها بقيةً اخصُّ ما تمتاز بهِ نحلتها الدينية

واذا نظرت الى السوريين من حيث النحل والملل تبيَّنت من المذاهب في القطر الذي انتشروا فيهِ ما لا وجود لهُ في قطر آخر وعرفت من العقائد ما لا يُتصوَّر ان العقل البشري ينحطّ الى التسليم بهِ فترى ثمت فِرَقاً تمزج حقائق التوحيد باضاليل الشرك كالصابئة واليزيدية والنصيرية وترى اليهود والنصارى والمسلمين منقسمين الى طوائف كلٌّ منها تدعي العصمة وصحة العقيدة وتنسب الى غيرها الغواية والضلال. فمن طوائف اليهود السامريون وهم في جبل نابلس لا يوجد منهم في غيرهِ ولا يزيدون عن ثلاث مئة نفس . ومن طوائف النصارى النساطرة المعروفون الآن بنصارى مارتوما وهم مشتتون في الموصل وديار بكر والعجم وبعض انحاء الهند وقد نبغ فيهم الحكماء والمترجمون الذين نقلوا حكمة اليونان وعلم الطب الى اللغة العربية في الدولة العباسية ومنهم السريان والكلدان والارمن وكلهم يعاقبة يعتقدون كالقبط بطبيعة واحدة في المسيح وقد اتحد بعض ابناء هذه الطوائف بالكنيسة الرومانية وسلموا بالقضايا

لمختلف عليها مع المحافظة على عوائدهم وتقاليدهم القديمة . ومنهم الموارنة وهم من السريان تمسكوا من زمن قديم بالمعتقد الروماني وبقوا حتى الآن محافظين على استقلالهم الديني في جبل لبنان . والروم وهم بقية الامة التي دحرتها العرب عن سوريا في القرن الاول من الهجرة ومنهم الروم الكاثوليك الذين اتحدوا بالكنيسة الرومانية . ومن الطوائف النصرانية في سوريا اللاتين والبروتستنت على اختلاف مذاهبهم وغيرهم . ومن طوائف الاسلام الاسماعيلية والشيعية والمتاولة والدروز في جبل لبنان وغيرهم وكلهم يذودون عن حوض مذاهبهم ويعتصمون بها ويتهالكون في الخصام بعضهم مع بعض لاجلها وهم اخوان في الوطنية وجيران في المسكن وشركاء في المصلحة العامة . ومن الغريب ان ترى في البلدة الواحدة فرقاً تجمعها قواعد الدين الكلية ولا تختلف الا في بعض مسائل فرعية وكل فريق يدعي العصمة لنفسه ويشاقُّ غيرهُ فينفر منهُ ويجتنب مخالطتهُ وربما انقسمت العشيرة الواحدة او الأُسرة الواحدة على نفسها فثارت ثائرة التعصب بين افرادها واشتدّ الخصام والنزاع وليس ثمت اسباب تدعو الى ذلك الا تُرّهات وسفاسف يعتدُّون بها ويتحاكمون عليها عنادًا . ولذلك فان هذه البلاد لا يمكن ان تقوم فيها جامعة وطنية لما يحول دونها من اختلاف المذاهب وتباين الآراء فلا ترتقي الى رتبة المدنية ولو توفرت لها اسباب الارتقاء

على ان اختلاط السوريين بغيرهم من الاجيال والامم منذ الازمنة القديمة حتى الآن لم يؤثر في سحناتهم وبناء اجسادهم تأثيرهُ في تفريق كلمتهم وفصم عرى رابطتهم لان الذين اختلطوا بهم كانوا في الغالب من اطيب العناصر محتدًا ومن ارقى الشعوب نسبًا وسؤددًا فضلاً عن تأثير اقليمهم النقي الهواء الخصيب التربة في اعتدال امزجتهم وصفاء الوانهم وحسن تقويمهم وجمال

هيآتهم وتناسب ملامحهم وثقوب اذهانهم ونماء قواهم العقلية واستكمال خصائصهم الادبية فهم من حيث الاستعداد الطبيعي للارتقاء في مقدمة السلائل البشرية لا يفوتهم الا الاتحاد في الكلمة والثبات في التحصيل . وسنعود الى تمام الكلام فيهم في الجزء التالي ان شاء الله

شفاء السرطان الجلدي

لا يخفى ان السرطان لم يزل حتى الآن معدودًا من العلل الغير القابلة للشفاء والطرق المعوَّل عليها في علاجهِ هي العمليات الجراحية على قلة نجاحها مع بلوغ الجراحة في هذه الايام الاخيرة غاية الاتقان . على اننا قد وقفنا على مقالة لطبيبين من مدينة براغ اسم احدهما سِرْني واسم الآخر ترونِسِك نُشرت في ٥ مايو الماضي مع صُوَر بعض المصابين بهذه العلة قبل العلاج وبعد الشفاء في مجلة الطب الاسبوعية الفرنسوية التي تطبع في باريز اوضحا فيها طريقة خصوصية جرّباها فنجحت في شفاء هذه العلة فآثرنا تلخيصها بما يأتي

اذا نُظر الى الطرق المستعملة الآن في علاج السرطان يُرَى ان مبدأها واحد وهو استئصال النسيج السرطاني واكثر الجراحين يعتبر ان هذا العلاج غير كافٍ فالاولى ابداله بواسطة تفعل على الخصوص توًّا في النسيج المرضي ولا سيما لان نزع الورم يشوّه الخلقة لما يستلزمهُ من قطع الاجزاء الصحيحة المحيطة بالمولَّد المرضي فضلاً عن نكسهِ واذا كانت الآفة كبيرة لا يبقى الا ترك المريض يتعذب وينتظر الموت . ولهذه الاسباب تحرَّى الاطباء البحث عن دواء يملك بهِ النسيج السرطاني ولا تؤذَى بهِ الانسجة الصحيحة فأجريت